معرّضة للهواء والمياه المشرفية . وقد كانت مباحث متشيكوف متممة لمبدإ المعالجة المضادة للفساد في الجراحة كما كانت نوراً ساطعاً اتضح به فعل الامراض المعدية

وكان يمكنني ان اذكر امثلة اخرى مثل هذه على علاقة العلوم الطبيعية بصناعة الطب لادخل للميكروبات فيها . ولو حاولت التكلم على كل ما استفادته صناعة الطب من العلم الطبيعي او افادته به منذ خمسين سنة الى الآن لاطررت ان أؤلف كتاباً كبيراً في علم الامراض وعلم الادوية . ولكنني اكتفيت باقتطاف بعض الامثلة من هذا المجال الواسع وارجو ان ذكري لها لم يتعدَّ الحدود اللائقة في محفل مشترك فيه مثل هذا وكل ما قلته معروف مألوف لدى كثيرين منكم وقد يرى فيه غيرهم شيئاً من الفائدة فيجدون ان صناعة الطب تستحق ان تكون حليفة للجمع البريطاني وانه فيما يهتم الاطباء ببناء اعمالهم على العلم وخدمة نوع الانسان لا يتقاعدون عن توسيع نطاق المعارف المجردة

ترتيب الفعل ومتعلقاته

من كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان لمؤلفه الاستاذ جبرائيل ضومط

لابدَّ في الجملة الفعليَّة من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقاً واما ما سواه من بقيَّة المتعلقات فالاصل فيها ان تتأخر عن الفعل الاَّ انها بحسب الصناعة اللفظيَّة لا يتعين ينها وبين الفعل ترتيب مخصوص فلك ان تقدم ما شئت منها على الفعل او تؤخره على ما تراه مناسباً بشرط ان تحافظ على منع الالتباس وتجنب التعقيد . اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه لمخالفته الغاية من وضع اللغة واما التعقيد والمراد به كل ما اوجب توقفاً في فهم المعنى المراد او اوجب للذهن تعباً يمكن تجنبهُ قلَّ او كثُرَ فلا تؤذن به البلاغة والطبع ايضاً يقضي بتجنبهِ ما امكن

وهذان الشرطان اعني منع الالتباس وتجنب التعقيد (او توخي سهولة الفهم) لا يمكن حصرها في ضوابط معينة انما يُرجع في ذلك الى مقامات الكلام والى نظر الكاتب وخصوصيَّة في فطرته من جهة والى معرفة القواعد والتراكيب النحويَّة المتعارفة والمتفق عليها من جهة اخرى. وارى انَّ الاطالة فيما يوجبها او ينفيها ضرب من التكلُّف لاحاجة بنا اليه وخير من ذلك ان نذكر بعض الملاحظات في شأن ترتيب الفعل ومتعلقاته وهي لاتخلو من فائدة

(١) قدِّم الزمان وما يتعلق بهِ على الفعل في كل جملة يبادر فيها الذهن لداع من الدواعي الى تعيين الزمان كقولك مثلاً « يوم الاربعاء الواقع في ١٠ تموز الساعة ٨ ب . ظ تحتفل المدرسة الكليَّة السوريَّة الانجيليَّة احتفالها السنوي الخ » وسببهُ انهُ مع ذكر الفعل الذي يدعو مقتضى الحال الى تعيين زمانهِ كثيرًا ما يبادر الذهن الى تعيين ذلك الزمان فان اصاب في التعيين وهو القليل النادر اقتضى ذلك احضار الزمان في الذهن مرتين مرة قبل ذكر الزمان في الجملة ومرة بعدهُ وهٰذا اسراف . وان اخطأ كان في ذلك مشقة على العقل في اصلاح خطاهِ والرجوع الى الصواب وهو من الاسراف ايضًا بخلاف ما اذا ذكر الزمان اولاً فانهُ لا يكون من العقل على الغالب الاَّ انهُ يتهيأ لانتظار الفعل حتى اذا ذُكر ادركهُ من غير تكلف لاحضارهِ اكثر من مرةٍ او لاصلاح ما اورثهُ التسرع

(٢) قدِّم المستفهم عنهُ مطلقًا كقولك « ماذا فعلت » و « متى اتيت » وهو معلوم

(٣) قدِّم ما اردت تعيينهُ او قصرهُ او تخصيصهُ اذا كان مقتضى الحال يدعو الى الاختصار او يؤذن بهِ فان مجرَّد التقديم دليل على ما اردت عند البلغاء من غير استعانةٍ بلفظ موضوع لهُ (كلفظة لاغير او العطف بلا الخ) مثال ذلك قولك « ماء شربت » تعني « شربت ماء لاخمرًا » وقول القائل

بكُمُ قريش كفينا كل معضلة وأمَّ نهج الهدى من كان ضلّيلاً

اي بكم لابغيركم او دون من سواكم كما لايخفى . حكي ان بعضهم شتم صاحبهُ شتمًا قبيحًا فاعرض المشتوم عن جوابهِ فقال الشاتم اياك اعني فاجاب المشتوم وعنك أُعرض . وكل ذلك مما تقضي بهِ بديهة الطبع فضلاً عن حسن الذوق

(٤) أُخِّر ذكر العلة او سبب الفعل عن الفعل لان العقل لايسأل عن سبب الفعل الاَّ بعد وقوعهِ ولذلك كان ذكر سبب الفعل قبلهُ مما يتأذى منهُ العقل لما فيهِ من المخالفة لمقتضى الترتيب الطبيعي الاَّ لغرضٍ كارادة القصر او التعيين على ما مرَّ وكأن يكون السبب واقعًا معلومًا من قبل والفعل (او معناهُ) المسبب عنهُ اشبهُ بالنتيجة لهُ فيتقدم حينئذٍ ذكر السبب وعليهِ ورد في سفر التكوين « لانك سمعت لقول امرأتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لاتأكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك » وكقول رئيس للحكمة مثلاً « بناء على ثبوت الدعوى المقدمة من فلان على فلان بشهادة الشهود العدول نحكم على فلان بكذا الخ »

ومما يقرب من هٰذا قول بعضهم

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليَّ ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

فانهُ قدم عَلَى الفعل (ايقنت) ما اوجبهُ من الاسباب الواقعة المعلومة لتوثُّب اليقين عليها بما يشبه ترتُّب النتيجة على المقدمات

وقريب من هٰذا الباب ما اذا كان الفعل واقعًا معلومًا عند المخاطب والعقل متوجهًا للسؤال عن سبب الفعل فانهُ في مثل هذه الحالة تقتضي البلاغة ذكر السبب اولاً لا سيما اذا كان للفعل تبعةٌ يجبُ التنصل منها . حكي عن بروتس احد عظماء الرومان وصديق قيصر الكبير انهُ بعد ان قتل قيصر قام فيهم خطيبًا واليك مفاد بعض ما قالهُ ولا فرق هنا بالنسبة الى غرضنا بين ان تكون نسبة هذه العبارات اليهِ حقًا او ادعاء قال « لان قيصر كان صديقي فانا ابكي عليهِ واندبهُ ولانهُ كان ذا حظوةٍ موفقًا فانا احش لهذا واستعذبهُ ولانهُ كان بطلاً شجاعًا فانا اجلُّهُ واحترمهُ لكن لانهُ كان يتشوَّف الى الملك واذلال الرومانيين قمت عليهِ وقتلتهُ » فانظر كيف قدم ذكر السبب في هذه الجمل الاربع اما في الثلاث الاول فلانَّ السبب واقع معلوم من قبلُ واما في الرابعة فلانَّ الفعل واقع معلوم دون السبب مع انصراف الخواطر الى معرفتهِ وتوجُّه غاية المتكلم الى ان يتنصل من تبعة الفعل بذكر السبب الذي يقوم بهِ عذرهُ لدى السامعين

(٥) قدِّم ما اردت عَلَى الفعل محافظةً عَلَى الفاصلة في الكلام المسجوع ومحافظة عَلَى الوزن او القافية في الكلام المنظوم (عَلَى شرط عدم الالتباس وعدم التعقيد) كالآية «خذوهُ فغلُّوهُ ثمَّ الجحيمَ صلُّوهُ ثمَّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوهُ» وكقولهِ

وما كلُّ بمعذور بخلٍ ولا كلُّ على بخل يلامُ

وكقولهِ ايضًا

وجدتموهم نيامًا في دمائكم كأنَّ قتلاكمُ ايامُ فجعوا

وكقول الآخر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

وهٰذا كثير شائع

(٦) توخَّ المطابقة بين الجمل المتعاطفة فقدم في المعطوف ما هو مقدم في المعطوف عليهِ واخِّر هنا ما هو مؤخر هناك كقولك « انهُ كان لا يؤمن بيوم الحشر العظيم ولا يحضُّ على طعام البائس المسكين » فاذا قلت مثلاً انهُ كان بيوم الحشر العظيم لا يؤمن فقل وعلى طعام

البائس المسكين لا يحض . وقد تكون المطابقة بين طرفي كلام واحد كقول الخوارزمي «ولكن الكبير من الكبير يصغر كما ان الصغير من الصغير يكبر» فاذا قلت ولكن الكبير يصغر من الكبير فقل كما ان الصغير يكبر من الصغير

واعلم ان متعلقات معنى الفعل كالصفة والمصدر يجري عليها مع الصفة والمصدر ما يجري على متعلقات الفعل معهُ مما مرَّ بك واللبيب اذا احسن اعتبارهُ في ما ذكرناهُ كفاهُ ذلك عن مزيد التطويل وكثرة الامثلة

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتنبيهاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم

(٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الثمرة المقلوبة

حضرة منشئي المقتطف الاكرمين

اطلعت في الجزء الحادي عشر من مقتطفكم الاغر على رسالة لجناب الرياضي البارع جبران افندي فوتيه فحواها الرد على قولي "ولا داعي لايجاد طريقة الفائدة المقلوبة واعتبار العمل بها على نسق جبري" والادعاء بان طريقة حلي هي نفس طريقة الفائدة المقلوبة فآثرت بيان الحقيقة ودفع الايهام فاقول : ان اعتبار العمل على نسق جبري لا يفيد ان العمل جبري غير حسابي وهو ثابت من نفس كلامهِ "على طريقة المقابلة في الجبر" اما الداعي لايجاد طريقة الفائدة المقلوبة فاجاب عنهُ بما يفيد الداعي لايجاد الطريقة المقترحة وهو غير المطلوب فالمراد من هذه طريقة الحل وصورتها اما طريقة الفائدة المقلوبة فقد اتى بها ليثبت ان الثمر في المستقيمة ايجابيَّة وفي المقلوبة سلبيَّة وبعبارة اخرى ان ثمر المستقيمة تساوي الفضل بين ثمر مجموع الدفعات بايام الرابطة وثمر المقلوبة فهذه لا داعي لايجادها فقد اثبت سابقاً هذه النتيجة